

الباب الثاني

إشارات القرآن .. والطب النفسي

الإعجاز في خلق الإنسان..

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢١]

لما كانت الأمراض العصبية والنفسية هي النتيجة النهائية لإضطرابات في وظيفة المخ الذي يمثل الجزء الرئيسي في الجهاز العصبي ويهيمن على كل الوظائف الجسدية والعقلية للإنسان فإن دراسة تركيب ووظائف المخ تدخل بنا في منطقة بالغة الأهمية والدقة .. إنه العضو الرئيسي في الإنسان وغيره من الكائنات .. ويتضمن الكثير من الأسرار التي لازال العلم يكتشف بعضها كل يوم .. فالمخ في الإنسان يفوق في تركيبه وعمله أكبر الحاسبات الآلية (أجهزة الكمبيوتر) وأكثرها تعقيداً .. وهنا نعرض بعض الحقائق والتأملات العلمية .. والمعلومات التي نتجلى من خلالها قدرة الخالق العظيم .

ولا يتعدى وزن المخ في المتوسط ١٢٠٠ جرام ، أي أكثر قليلاً من الكيلوجرام . ويعني ذلك أنه يشكل حوالي ٢٪ من الوزن الإجمالي لجسم الإنسان كله ، ورغم ذلك فإنه نظراً لأهمية وطبيعة ووظائفه يحصل على أكثر من ١٥٪ من غذاء الإنسان عن طريق الدورة الدموية !

وتظراً لأهمية المخ الخاصة أيضاً فإن حمايته من المؤثرات الخارجية مكفولة بنظام قوي من صنع الخالق سبحانه وتعالى ، فهو يحاط بعظام الجمجمة الصلبة ، أما بقية الجهاز العصبي المركزي وهي النخاع الشوكي فإن حمايته تكفلها

عظام العمود الفقري التي تحيط به ، ويبلغ حجم الجمجمة للإنسان ١٥٠٠ سم^٣ تقريباً ، ويوجد بداخلها المخ يحيط به السائل المخي وكميته حوالي ١٥٠ سم^٣ ويتكون المخ بصفة رئيسية من نصفي كرة ، والجزء الأهم هو القشرة أو الطبقة السطحية لنصفي الكرة حيث يتوقف على مكوناتها من الخلايا كياناتنا كآدميين نعقل ونفكر ونتحكم ، ورغم أن حجم المخ صغير نسبياً فإن الكثير من اللافيف تزيد من مساحة سطح المخ والقشرة التي ذكرناها لتصل إلى مساحة ١٦٠٠ مم^٢ مع أن سمكها لا يزيد عن ٢.٥ مم. وهنا يطرح السؤال:

كيف يتغذى مخ الإنسان ليقوم بوظائفه ؟

بداية نقول أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة ، فعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي حقق الكثير من الإنجازات في كل مجال فإن الغموض لا يزال يحيط بتركيب المخ والطريقة التي يؤدي بها وظائفه. وهناك الكثير من الأسرار لم يتوصل العلم إلى فهمها بعد ، وسنذكر فيما يلي بعض الحقائق عن الطريقة التي يتغذى بها المخ ليقوم بوظائفه .

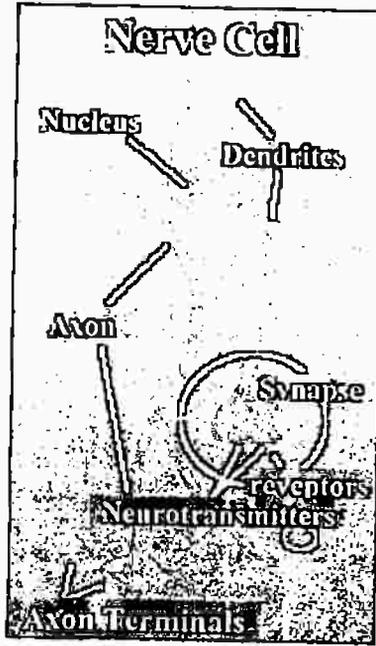
إن طبيعة عمل المخ وأهميته تتطلب أن يتوفر له ما يحتاجه من تغذية بالدم والأكسجين بالدرجة الأولى قبل بقية أعضاء الجسم والأنسجة الأخرى ، ويقوم بذلك نظام من الأوعية الدموية تعمل تحت مراقبة عدد كبير من الإشارات التي يصدرها المخ أيضاً لضمان استمرار هذه العملية وتصحيح أي خلل فيها بصورة فورية ، ولنا أن نتصور دقة هذه العملية إذا علمنا أن الدم يتدفق بكمية أكبر من المعتاد إلى أماكن معينة في المخ في أثناء التفكير العميق عند حل إحدى المسائل المعقدة مثلاً .. كما أن الأرقام تؤكد أن طول الأوعية الدموية الشعرية الدقيقة في ١ مم^٢ من المخ يصل إلى ١٤٠٠ مم ، أما مساحة سطح جدران هذه الأوعية متساوي ٥٠٠ مم^٢ ، فإذا افترضنا أننا سوف نقوم بمد هذه الأوعية الدموية الدقيقة في مخ

الإنسان في خط واحد مستقيم فإنها سوف تبلغ ١١٢٠ كيلومتراً .. أي ما يزيد على المسافة من الإسكندرية إلى أسوان ، وأكثر من المسافة بين القاهرة والقدس !!!
والأوعية الدموية التي تغذي المخ لها تركيب خاص معقد للعيية ، فكل وعاء منها له ما يشبه الإدارة الخاصة حيث يتلقى أوامر من مراكز في الجهاز العصبي تستقبلها مراكز أخرى في جدران الأوعية ذاتها ، وتحمل الإشارات أوامر لهذه الأوعية بأن تتسع أو تنقلص عن طريق عضلات دقيقة بحيث تقل أو تزداد كمية الدم التي تتدفق فيها لتغذي المخ ككل أو لكل منطقة منه على حدة ..

بقي أن نعرف أن هذه المنظومة الهائلة من أوعية الدم التي تغذي مخ الإنسان يمر خلالها ما لا يقل عن $\frac{1}{3}$ لتر من الدم كل دقيقة .. وبحسبة بسيطة نجد أن الدم الذي يصل إلى المخ يزيد على كمية متر مكعب في اليوم الواحد !!

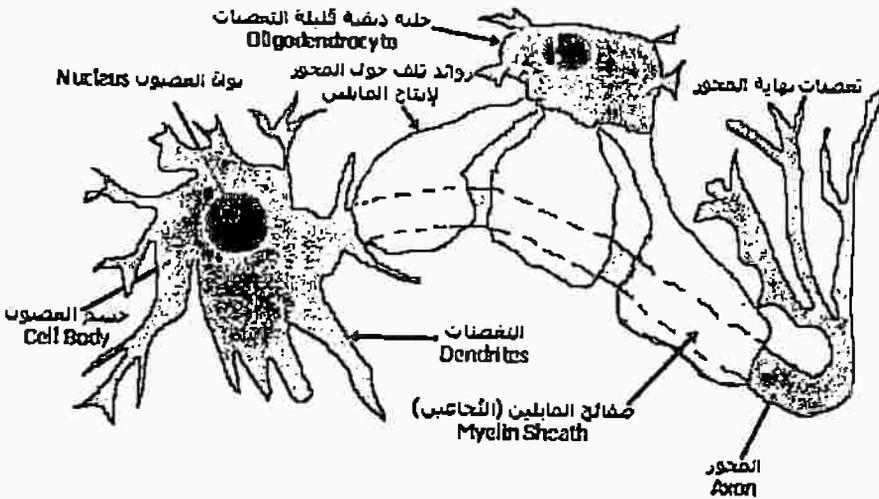
الإعجاز في خلق الإنسان .. كيف يؤدي المخ عمله ؟

.. لا أستطيع أن أزعج أن العلم قد توصل إلى الشيء الكثير في مجال كشف وفهم الطريقة التي يؤدي بها المخ عمله ، فالأمور التي لم يتوصل الطب إلى إدراكها أكثر من تلك التي تم التوصل إليها حتى وقتنا هذا ، ولكي نتصور معاً الإعجاز الهائل في أداء المخ لوظيفته تخيل معي أننا أحضرنا عدداً كبيراً جداً من الموظفين ووضعناهم جميعاً في غرفة ضيقة جداً وطلبنا من كل منهم أن يقوم بعمله دون أن يتأثر بمن حوله ، إن نلك بغير شك شيء مستحيل وغير ممكن ، فلا بد في وضع كهذا من حدوث كثير من التداخلات والعوضى .. قارن معي ما يحدث داخل مخ الإنسان ..



(خلية العصبية...)

درجة بناء الجهاز العصبي.. مليارات (الخلايا لكل منها وظيفة محددة).



إن مخ الإنسان يتكون من الخلايا العصبية ويبلغ عددها من ١٥ إلى ٢٠ مليار خلية ، وهذه هي الوحدات التركيبية والوظيفية التي يقوم كل منها بعمل محدد في تنسيق مع بعضها البعض ، وهذه جميعاً تزدهم في حيز ضيق محدود فكيف إذن تقوم كل منها بوظيفتها دون فوضى أو تداخل ، ذلك إعجاز من صنع الخالق سبحانه وتعالى .

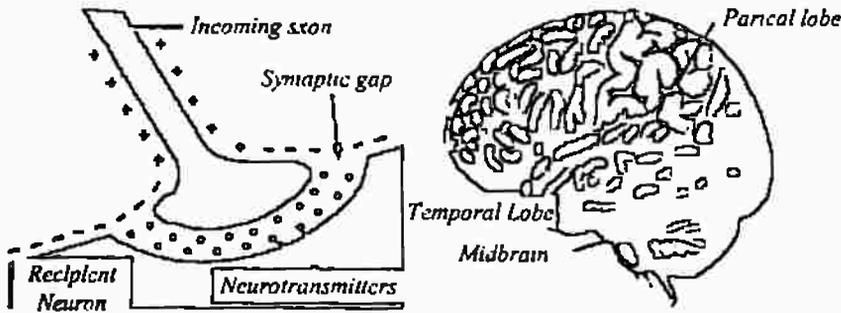
أما كيف يتم التفاهم والتنسيق بين هذه المليارات من الخلايا حتى لا يحدث تضارب في ما يصدر عنها من إشارات ، فإن ذلك يتم عن طريق انتقال المؤثرات فيما بين الخلايا العصبية في اتجاهات محدودة وفق نظام دقيق ، وذلك عن طريق مواد كيميائية طبيعية يفرزها المخ وتسمى الموصلات العصبية . وينتج عن ذلك إنتشار موجات كهروكيميائية هي في الواقع شحنات كهربائية دقيقة تعطي إشارة تنتقل في اتجاهات معينة لأداء وظيفة ما ، وليس ما نراه من تشنجات حركية وعصبية في حالات الصرع سوى خلل يعترى طريقة إنتشار هذه الشحنات الكهربائية وموضعها وشدتها ويؤدي في النهاية إلى حدوث النبوة

عقل الإنسان.. والحاسب الآلي الكومبيوتر :

لعل ما ذكرت هنا من حقائق وأرقام عن مخ الإنسان والنبذة التي تعرضنا لها حول وظيفته وتركيبه المعقد هو ما يدفع البعض أحياناً إلى المقارنة بين العمليات العقلية التي يؤديها المخ وتلك التي يقوم بها ذلك الجهاز المتقدم الذي توصل إليه العلم والإختراع وهو الكومبيوتر أو الحاسب الآلي والذي يقوم بإنجاز عمليات حسابية هائلة في وقت قياسي .

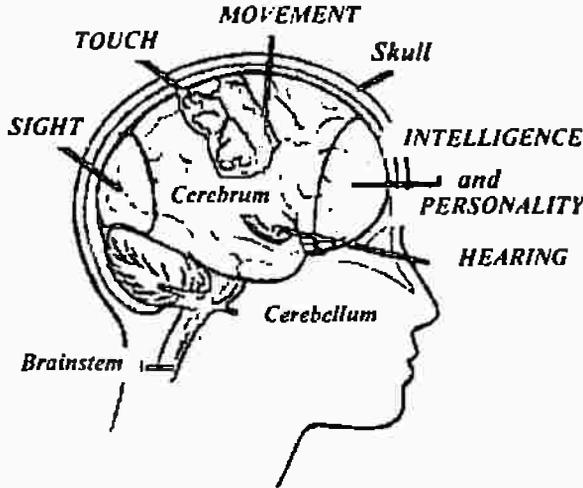
ولقد كانت المقارنة على الدوام في صالح الإنسان من حيث إمكاناته وقدراته الهائلة على التعامل مع جميع العمليات العقلية ، ومن حيث الذاكرة والذكاء والقدرة على الإختبار والتمييز ، وقد وجد أن الحاسب الآلي الذي يمكنه أن يؤدي بعض العمليات العقلية المماثلة لقرارات المخ البشري لا بد أن يكون حجمه هائلاً للغاية بالمقارنة لحجم المخ الصغير داخل الجمجمة ، وربما كان وجه الشبه بين مخ الإنسان والكمبيوتر هو أن أخطاء البرمجة أو خلل الكمبيوتر تؤدي إلى نتائج غير سليمة في أداء الكمبيوتر ، وكذلك فإن المؤثرات الخارجية والخلل العضوي في وظيفة المخ قد يؤدي إلى ظهور أعراض الأمراض العصبية والنفسية مثل حالات الإكتئاب، والفصام العقلي، والصرع .

وبعد فقد كانت هذه التأملات في المعلومات التي أراح بها علماء النفس الستار عن بعض أسرار المخ الإنساني .. ذلك العضو الذي يزن نحو كيلوجرام واحد لكن تتجلى في تركيبه وقيامه بالوظائف العقلية كل معجزات الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْفِكَرْنَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الناريات: ٢١] .. فسبحان الخالق العظيم .



والإكتئاب النفسي هو أحد أهم أمراض العصر الحالي، وقد ورد في تقارير منظمة الصحة العالمية أنه يصيب نسبة ٧٪ من سكان العالم حالياً، وعند دراسة التغييرات التي تحدث في الجهاز العصبي لمرضى الإكتئاب تم إكتشاف وجود نقص

في بعض المواد الكيميائية داخل المخ منها مادة "السيروتونين" *Serotonin* . ومادة "نورابنفرين" *Norepinephrin* . ورغم أن هناك خلافاً حول ما إذا كان ذلك هو السبب في مرض الاكتئاب أو حدث نتيجة للإصابة بالمرض فإن الأطباء النفسيين يعلمون جيداً أن تعديل هذا الخلل الكيميائي بواسطة الأدوية التي تزيد من نسبة هاتين المادتين يؤدي إلى تحسن حالة مرضى الاكتئاب بصورة ملحوظة مهما كانت الأسباب التي أدت إلى الإصابة بالاكتئاب .



وهذه الحقائق التي توصل إليها علماء الطب النفسي حول كيمياء الجهاز العصبي وما يعترها من تغييرات في حالة الصحة والمرض هي دليل آخر على قدرة الخالق العظيم وعلامة من علامات الإعجاز في تكوين العقل والجسد في الإنسان .. ولعل هذه دعوة للتأمل في خلقه سبحانه وتعالى في أنفسنا في ضوء ما وصل إليه علمنا الذي هو قليل من كثير.. فسبحان الخالق العظيم .

الجنون.. في الطب النفسي والمنظور القرآني

لعل الأمراض النفسية من أكثر الموضوعات التي يحيط بها الغموض الذي يدفع الناس إلى تبني أفكار وتصورات غير واقعية حولها، ومعتقدات غريبة عن أسباب المرض النفسي، الذي يتعارف العامة علي وصفه بحالة "الجنون" وعن المرضى النفسيين الذين يطلق الناس عليهم وصف "المجانين" وتمتد المفاهيم الخاطئة لتشمل تخصص الطب النفسي بصفة عامة، والذي اصبح اليوم رغم كل التطورات الحديثة في أساليب العلاج موضع نظرة سلبية من جانب مختلف فئات المجتمع .. ولعل ذلك هو ما دفعني إلى تناول هذه القضية الهامة ليس دفاعا عن الطب النفسي بل من أجل تصحيح بعض المفاهيم السائدة بعرض بعض الحقائق والآراء حتى نتبين الجانب الآخر من الصورة.

الجنون والمجانين :

بداية فإنتني - بحكم عملي في مجال الطب النفسي - أؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه "الجنون" بل إن هذا اللفظ لا يعي بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف لحالة مرضية معينة، غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الانتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضى النفسيين (حيث يطلق عليهم المجانين) وأحيانا تمتد هذا الوصف ليشمل كل ماله علاقة بالطب النفسي، فكل من يتردد علي المستشفيات والعيادات النفسية هو في الغالب في نظر الناس جنون، وانطلاقا من ذلك فإن المستشفى هي مكان للمجانين والأطباء النفسيين أيضا هم "دكاترة المجانين"!

ولا يخفي علي أحد أن استخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلتصق به، وتسبب له معاناة تضاف إلى مشكلته الأصلية التي تسببت في اضطراب حالته النفسية، فكأن المصائب لا تأتي فرادى بالنسبة لمرضي النفس الذين هم في أشد الحاجة إلى من يتفهم معاناتهم ويحرص علي عدم إيذاء مشاعرهم المرهفة، فقد يتسبب المحيطون بالمرضى النفسي من أهله وأصدقائه ومعارفه في إضافة المزيد من الآلام النفسية إلى ما يعاني منه من اضطراب نفسي حين يقومون ولو بحسن نية باستخدام بعض المفردات التي يفهم المريض منها انه قد اصبح اقل شأنًا من المحيطين به، ولنا أن نعلم أن معظم مرضي النفس يتميزون بحساسية مفرطة تجاه نظرة الآخرين لهم وهذا جزء من مشكلتهم النفسية، فكأننا حين نوذى مشاعرهم المرهفة بالإشارة أو حتى التلميح كمن يلهب بالسوط طهر جواد متعب ومنهك أصلا.

وقد حاولت أن ابحث عن المعنى اللغوي لكلمة "الجنون" بدافع الرغبة في معرفة اصلها لكنني وجدت نفسي في متاهة متشعبة، فالأصل هو كلمة "جَنُّ" وتعني اختفي، ومنها جن الليل أي اخفت ظلمته الأشياء، ومنها أيضا "الجنة" التي تعني الحديقة أو الشجر الكثير الذي يخفي ما بداخله، أما صلة هذا الاشتقاق بالعقل فإن العقل إذا جن فإنه قد استتر واختفي، فالشخص إذن "مجنون" ويقال أيضا إن الجن وهم المخلوقات التي تقابل الإنس تأتي تسميتهم تعبيرا عن اختفائهم عن الأبصار.. وأرى أن اكتفي بذلك لأن ما قرأت من اشتقاقات وتفسيرات مختلفة لا يكفيه كتاب كامل، لكن عموما فإن ما يمكن أن نستنتجه من ذلك هو العلاقة غير المباشرة بين تعبير الجنون ووصف المرض النفسي والتي لا تتميز بالدقة حتى من الناحية اللغوية ناهيك عن الناحية النفسية حيث لا يعني الجنون أي مدلول علمي أو وصف لمرض نفسي محدد كما ذكرنا.

وبالإضافة إلي ذلك فإن لنا أن نعلم أن الأمراض النفسية (التي يطلق عليها جواراً الجنون) تضم مجموعات كثيرة من الحالات المرضية تتفاوت في شدتها وأسبابها وطرق علاجها ، ويكفي أن نعلم أن هناك ما لا يقل عن ١٠٠ مرض نفسي وعقلي معروف للأطباء النفسيين، وتضمها مراجع الطب النفسي بوصف كامل لكل منها. وهنا نتساءل أي هذه الحالات هو ما يصفه الناس سرص الجنون! أننا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي يتراجع فيه استخدام هذا اللفظ الأليم علي المشاعر. المعنى اللغوي لكلمة " الجنون "؟؟.. فالأصل هو كلمة " جَنٌ " وتعني إختفى. ومنها جن الليل أي أخفت ظلمته الأشياء، ومنها أيضا " الجنة" التي تعني الحديقة أو الشجر الكثير الذي يخفي ما بداخله. أما صلة هذا الإشتقاق بالعقل فإن العقل إذا جن فإنه قد إستتر وإختفى، فالشخص إذن "مجنون" ويقال أيضا إن الجن وهم المخلوقات التي تقابل الإنس تأتي تسميتهم تعبيراً عن إختفائهم عن الأبصار..

وقد ورد لفظ "مجنون" في ١١ موضعا في كتاب الله:

- ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ [سورة الحجر: ٦]
- ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٧﴾ [سورة الشعراء: ٢٧]
- ﴿ وَقَوْلُونَ آيَاتُنَا لِنَارِكُرْءَاءِ الْهَيْبَتِ الشَّاعِرِ مَجْنُونٌ ﴿٣٦﴾ [سورة الصافات: ٣٦]
- ﴿ أَنَّ هُمْ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونَ ﴿١١﴾ ﴿ [سورة الدخان: ١٣: ١١]
- ﴿ وَفِي مَوْسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوعًا وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ [سورة الذاريات: ٣٨: ٣٩]
- ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ [سورة الذاريات: ٥٢]

- ◊ ﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [سورة الطور: ٢٩]
- ◊ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا لَمَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾﴾ [سورة القمر: ٩]
- ◊ ﴿ت وَالْقَالِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة القلم: ١-٢]
- ◊ ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنْ نَسْمِعَهُمْ أَلْفِكَارًا وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم: ٥١]
- ◊ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٢]

ونوضح هنا منها:

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة القلم: ٢] (ويقولون إنه لمجنون) .. وردت هذه الآيات في سورة القلم وفيها وصف مجنون الذي إحتوت عليه نفس السورة بعد القسم بحرف (ت) الذي إستهلكت به السورة ثم بعد ذلك القسم بـ ﴿وَالْقَالِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ويبدو وكأنه جواب هذا القسم في الآية التالية ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وقد ورد وصف مجنون في مواضع كثيرة في آيات القرآن الكريم وهي في أغلب الحالات وصف أطلقه الناس على ما لا يصدقون مما يأتي به أنبياء الله ورسله وكان في أغلب المناسبات التي ذكر فيها في آياته القرآن الكريم هو ما يقوله الكفار عن الرسول الكريم حين جاء إليهم بالدعوة التي رفضوا التصديق بها فلم يكتفوا بالعناد والكفر بل حاولوا التشكيك في القوى العقلية لمن جاء بها، وقد حدثت مواقف متشابهة جاءت في آيات القرآن الكريم في تكذيب أنبياء الله ورسله من أقوامهم جاء فيها قول قوم صالح ﴿قَالُوا يَنْصَلِحُ قَدَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا...﴾ [سورة هود: ٦٢] وقوم شعيب وهم يلومونه ﴿... إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [سورة هود: ٨٧] ﴿... مَا نَنْفَعُهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ...﴾ [سورة هود: ٩١] وقول قوم هود ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ آلِهَتِنَا بِسُوءِ...﴾ [سورة هود: ٥٤] وهذه أمثلة لما واجه

أنبياء الله ورسله وهم يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد وهنا تلقى الضوء على منظور كلمة «مجنون» من منظور الطب النفسي.

ويحكم عملي في مجال الطب النفسي - يؤكد أنه لا يوجد مرض نفسي أو عقلي اسمه " الجنون " بل إن هذا اللفظ لا يعني بالنسبة لنا في ممارسة الطب النفسي أي مدلول ولا يعبر عن وصف لحالة مرضية معينة. غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هذا الوصف المتداول بصورة واسعة الإنتشار بين الناس من مختلف الفئات لوصف المرضى النفسيين (حيث يطلق عليهم المجانين) ولا يخفى على أحد أن استخدام هذه المصطلحات له وقع سيئ للغاية، فوصف أي شخص بالجنون لاشك هو وصمة أليمة تلتصق به.

وبعد فقد كان هذا التناول لإشارات القرآن الكريم في آيات متعددة إلى وصف «مجنون» والسياق الذي فيه الإشارة إلى مفهوم الجنون قبل أن يتناوله اللطب النفسي.

النفس في القرآن :

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم في ٢٩٥ مائتين وخمس وتمعين موضعا . وهناك فرق بين النفس والروح رغم أن هناك إنطبعا بتقارب المعنى بين اللفظين غير أن الروح من أسرار الخالق ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ... ﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] . وهناك عرة معاني للكلمة (النفس في القرآن) نذكر منها :

- ◊ تعني كلمة النفس في بعض الآيات ذات الله تعالى . ومثال ذلك :
- ◊ ﴿ ... تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ... ﴾ [سورة المائدة: ١١٦] .
- ◊ ﴿ ... كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ ... ﴾ [سورة الأنعام: ١٢] .
- ◊ ﴿ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [سورة طه: ٤١] .

◀ ... وَيَحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ... ﴿ [سورة آل عمران: ٢٨] .

◀ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفجر: ٢٧] .

◀ ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي٤ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...﴾ [سورة يوسف: ٥٣] .

النفس الانسانية في آيات القرآن الكريم كيان له صفاته وعلاماته المميزة

مثال ذلك :

◀ النفس تموت وتقتل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾ [سورة الانبياء: ٣٥] . ﴿... وَلَا

تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [سورة النساء: ٢٩] .

◀ ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ...﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] .

من الآيات الكريمة التي ورد فيها القسم في القرآن الكريم:

◀ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ [سورة الشمس: ٧]

ولكي نقرب من المفهوم العلمي للنفس الانسانية علينا أن نتخيل تأثير

التغيرات الكيميائية داخل الجهاز العصبي على الحالة النفسية وعلى حالة الجسد

أيضا لنفترض مثلا أن أي واحد منا قد تعرض لموقف فيه خوف أو ضغط نفسي

شديد فإن رد الفعل المعتاد هنا أن نشعر في مثل هذه المواقف بدقات القلب

السريعة ورعشة في الأطراف وشحوب الوجه ونصب العرق. وهذه العلاقات هي

مظاهر للقلق والتوتر لكنها حدثت نتيجة لسلسلة تبدأ من خلايا قشرة المح التي

تقوم بوظيفة التفكير، وبعد ذلك تصدر إشارات كهربائية وكيميائية إلى مناطق

أخرى من الجهاز العصبي مثل الأجزاء الداخلية من المح ومنطقة تحت المهاد التي

يتم فيها إفراز مواد كيميائية تمثل إشارات إلى مراكز أخرى وإلى غدد الجسم لإفراز

مواد تنطلق إلى الدم مثل مادة " الأدرينالين " التي تقوم بمهمة دفع الدم في القلب

والشرايين بقوة وإعداد الجسم لمواجهة موقف القلق أو الخوف أو التهديد ..

ويحدث ذلك كله بصورة تلقائية منظمة وخلال ثوان معدودة . وفي التجارب التي

يجريها علماء النفس على بعض الحيوانات لدراسة سلوكياتها ثم اكتشاف مراكز معينة داخل الجهاز العصبي تقوم بإفراز مواد كيميائية تتسبب في شعور الإطمئنان والهدوء والإرتياح، والمواد الكيميائية التي ترتبط بذلك أطلق عليها " الأفيونات الداخلية " لأن لها تأثير مهدئ ومطمئن يشبه تأثير الأفيون على المدمنين وهي الاندورفينات *Endorphins* والانكفالينات *Enkephalins* وعلى العكس من ذلك فإن الغضب والتوتر والقلق والإكتئاب ترتبط أيضاً بتغيرات كيميائية في مراكز بالجهاز العصبي أمكن اكتشاف الكثير منها حالياً .

الحسد وتأثير العين:

هناك نسبة كبيرة من مرضى العيادة النفسية يرجعون ما أصابهم من مرض الى الحسد وتأثير العين ، بل أن منهم من يحدد مصدر العين واليوم والساعة التي تعرض فيها لتأثيرها ، وهناك من يؤمن بتأثير العين ويسلم بذلك بصورة مطلقة ولا يحاول البحث عن سبب أضر لمرضه . كما أن هناك من يعزو الى الحسد فقد الممتلكات وتحطيم الأشياء ، وحوادث السيارات ، وكل ما يصيب الصحة الجسدية والنفسية .

وأذكر حالة مدرس في الثلاثين من عمره بدأ يعاني من مشكلة غريبة هي عدم القدرة على الكتابة بيده اليمنى، وكان ذلك يعوقه عن تحضير الدروس، لكنه أحياناً كان يستطيع الكتابة بنفس اليد والرسم واستخدام أصابعه بصورة طبيعية اذا كان في مكان آخر غير مكان عمله أو حين يكتب شيئاً لا يتعلق بالمواد التي يقوم بتدريسها، وحين تم تحليل هذه المشكلة في العيادة النفسية ذكر هذا المدرس أن ما حدث له كان من تأثير الحسد حيث أن زميلاً له معروف بقدرته على الحسد رآه وهو يكتب بخط جميل فعلق على ذلك قائلاً أن هذا الخط يفوق على الذى الذى

يكتب بواسطة "الكومبيوتر".. ومنذ هذه اللحظة فقد المدرس قدرته على الكتابة بهذه الصورة.

ومن خلال ملاحظاتي على المرضى الذين يرجعون كل متاعدهم الى الحسد نجد أنهم من أولئك الذين يرجعون الذين يتميزون بقابليتهم للأحياء بسهولة حيث تسيطر عليهم فكرة أصابتهم بالعين . وهناك أشخاص يقال أنهم أكثر عرضة للحسد مثل الأثرياء ، والأطفال، والذين يتمتعون بقدر من الوسامة والجمال والسيدات خصوصاً أثناء الحمل. كما أن هناك من يحوم حولهم الشك في أنهم مصدر للحسد مثل نوى العاهات البدنية ، والجيران والأقارب ، والفقير أو الجائع وتغساء الحظ في الحياة ، والأهم من ذلك شخص معين ذكر تعليقاً أو تتم بكلمة أعجاب أو شىء من ذلك.

وقد ورد الحسد في القرآن في هذه المواضع:

- ◊ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ [سورة البقرة: ١٠٩] .
- ◊ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُم آلَ إِبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ [سورة الساء: ٥٤] .
- ◊ ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مِثَاقِهِم لِتَجِدُوهُمْ أَذِينًا يَتَّبِعُونَ يُريدُونَ أَن يَسِدِّلُوا عَلَيْكُمْ إِنَّهُمْ لَن يَتَّبِعُونَكُمَا كَذِبًا قَالُوا اللَّهُ مِن قَبْلُ فَيَسُبُّوا رَبَّكَ لَمَّا بَلَغْتَ حُدُودَكَ لِكُنَّا أَتَقْمَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ [سورة النج: ١٥] .

كما وردت الاستعاذة من الحسد في قوله تعالى:

- ◊ ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ [سورة الفلق: ٥] .

والسؤال الذي يطرح هنا : أين الحقيقة ؟...

إننا نؤمن تماماً بكل ما ورد في القرآن الكريم حول الحسد ، لكن الألتزام بالكتاب والسنة لا يجب أن يقودنا الى التصديق بأمور تفتح الطريق الى كثير من الدع والخرافات التي يروج لها المشعوذون، وهناك أمور لا يملك أحد أن يؤكد لها أو ينفيها مثل دخول الجن الى داخل جسد الإنسان أو قدرته على التسبب له في الأذى ، وكذلك أثر العين على الإنسان والقدرة على تجنبه ، والحقيقة أن الدفاع الأمثل هذه الأمور هو التمسك بالإيمان القوى بالله تعالى والتسليم بأن شيئاً لن يصيبنا إلا ما كتبه الله سبحانه لنا .

والحقيقة أننا من وجهة النظر النفسية - نحاول دائماً أن نتمسك بالحقائق العلمية المدروسة في تناولنا لتلك الأمور، ونقوم بعلاج هذه الحالات وفق الخطا الطبي والنفسي الذي نعلمه دون التوقف كثيراً أمام الاعتبارات الخفية في الموضوعات التي تخص الصحة والمرض .

كلمة أخيرة..هي نصيحة الطب النفسي إليك..دع عنك الاستغراق في التفكير في هذه الأمور التي قد تدفعك إلي القلق والاضطراب..وكل ما عليك هو أن تتفاءل وتبتسم للحياة..وقبل ذلك وبعده تتوكل علي الله في أمرك كله.

- ◊ ومن هنا كانت هذه الدعوة العامة للمرضى والأصحاء أيضاً للصحة النفسية والشفاء عن طريق الرجوع إلى القرآن والسنة وروح الدين الإسلامي، وبالفرار إلى الله واللجوء إليه، وفي الطريق إلى عرفات الله نذكر أنفسنا ونتأمل بعض الحقائق:

وبعد فقد كنا مع هذه التأملات بين العلم الحديث والطب والصحة النفسية وعلاقة ذلك بالمنظور الديني .. ورأينا أننا حين نفكر قليلاً نجد أن الحل

والمخرج من غالدية ما نواجهه من مشكلات وأزمات في حياتنا هو بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى.

والإشارات التي وردت في آيات القرآن الكريم تسبق ما جاء في مراجع علم النفس والطب النفسي الحديث بمئات السنين حول هذا الموضوع الذي لم يتم التوصل سوى للقليل من المعلومات حول أسبابه وتشخيصه وعلاجه، فسبحان الله الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما

أعمال الشيطان .. والمرضى النفسي

هناك اعتقاد قوى لدى قطاعات كبيرة من الناس خصوصاً المصابين باضطرابات نفسية وأقاربهم بأن هناك قوى خفية تسببت في إصابتهم بالمرض النفسي، وهم يتفقون على ذلك وكأنه حقيقة مسلم بها، ويظل الخلاف في الكيفية التي يعمل بها الجن أو الشياطين فيتصور البعض أنهم يدخلون إلى داخل جسد الإنسان ويسببون له الاضطراب الذي لا يشفي إلا بخروجهم منه، ويعتقد البعض الآخر أن مجرد المس من جانب هذه المخلوقات يكفي لحدوث المرض، ويرى آخرون أن المسألة هي وساوس يقوم بتوجيهها الشيطان إلى ضحاياه عن بعد .. وهنا أتناول بعض الجوانب النفسية للعلاقة بين الشيطان والمرضى النفسي.

والشيطان في كل الحالات متهم بأنه السبب الرئيسي وربما الوحيد وراء المرض النفسي على وجه الخصوص أحيانا بعض الحالات المرضية الأخرى، ويدفع هذا الاعتقاد الكثير من المرضى إلى طلب العلاج لدى الدجالين والمشعوذين الذين يتعاملون مع الجن والشياطين دون التفكير في اللجوء إلى الطب النفسي إلا بعد مرور وقت طويل من المعاناة .

وبحكم العمل في الطب النفسي فإن نسبة لا تقل عن ٧٠٪ من المرضى يدهون في البداية إلى المعالجين الشعبيين أو المشعوذين قبل أن يفكروا في زيارة الطبيب النفسي، ورغم أنه لا يوجد دليل واحد على علاقة الشيطان بالأمراض النفسية فإن بعضاً من المتعلمين إلى جانب البسطاء لا يستطيع فهم الحقائق العلمية التي تؤكد أن غالبية الأمراض النفسية الرئيسية قد تم التوصل إلى معرفة أسبابها وأنها نتيجة تغيرات كيميائية في الجهاز العصبي يمكن علاجها عن طريق

تعديل الخلل الذي يعاني منه المريض باستخدام الأدوية النفسية الحديثة ، وكما ستعرض نماذج لذلك في هذا الموضوع فإن الشيطان ليس له دور مطلقاً في هذه المسألة .

عندما يتكلم الشيطان !!

من الحالات الغريبة التي يتناقل الناس الحديث حولها في المجتمعات العربية حالات مرضي يغيثون عن الوعي ويبدأ الشيطان أو الجن في الحديث من داخلهم !! .. فالكلام يصدر عنهم لكنه بنبرات وأسلوب يختلف عن طريقتهم المعتادة في الحديث ، والكل هنا يؤكد أن المتحدث هو المخلوق الغريب بداخلهم، وربما يذكر هذا المتحدث اسمه وديانته والمكان الذي حضر منه فهناك الجن الكافر، وهناك الشيطان الصغير، والفتاة المثقفة، والمرأة التي تبدي رغبتها في الزواج من المريض أو الرجل الذي يؤكد انه يحب ضحيته ولن يتركها، وكل هذه نماذج من الشياطين الذين يتحاورون مع المحيطين بالمريض وكثيراً ما يقدم الواحد منهم بعض المطالب حتى يتخلى عن المهمة التي يقوم بها مع هذا المريض ويتركه وشأنه .. والكلام هنا مؤكد، وتسمعه من مصادر كثيرة لدرجة أن بعض الناس يقول لك أن لديه تسجيلات لهذه الوقائع بصوت الشيطان نفسه حتى يصدق الجميع ذلك .. فما تفسر هذا من وجهة نظر الطب النفسي !؟

والواقع أنني شخصياً قد استمعت إلى مثل هذه الأشياء في حياتي العملية عدة مرات .. لكن هذه الحالة أيضاً لا علاقة لها بالشيطان نهائياً، والمتحدث هنا هو المريض نفسه وهو في حالة نطلق عليها التحول الهستيرى يغيث فيها عن الوعي مؤقتاً وتظهر بعض محتويات عقله الباطن فيقوم بالتنفيس عن بعض رغباته المكبوتة ويهرب من الواقع والضغوط التي لا يحتملها فيتصور الجميع أن بداخله

شيطان يتكلم، وهذه الحالات لا تحتاج إلى جلسات "الزار" أو الذهاب إلى الدجالين، أو ضرب المريض بقسوة لإخراج الجن، كل ما في الأمر هو تهدئة المريض وبحث حالته النفسية والتعامل مع الضغوط التي يتعرض لها، وهنا تتحسن الحالة دون تعامل مع الشيطان .

الأصوات والخيالات والوساوس .. مرضية أم شيطانية!؟

مرض الوسواس القهري .. وقد ارتبط هذا المرض في الأذهان بوساوس الشياطين بسبب التشابه بين مسمى " الوسواس القهري " ووصف الشيطان " الوسواس الخناس " الذي ورد في القرآن الكريم، لكن إذا علمنا أن الوسواس القهري قد اصبح من الأمراض التي تم كشف النقاب عن الكثير من أسرارها، وأن هذه الحالات لها علاقة ببعض المواد الكيميائية في المخ مثل مادة " السيروتونين " التي يتسبب اختلالها في أعراض هي : أعمال وسواسية في صورة تكرار أفعال وطقوس لا معنى لها مثل غسل الأيدي، أو الطهارة عند ملامسة أي شئ ، أو التمتمة بكلمات أو أعداد معينة قبل بدء أي عمل، أو إعادة الوضوء عدة مرات قبل الصلاة. وأفكار وسواسية مثل الانشغال والاستغراق في التفكير في موضوعات تافهة وقضايا لا حل لها مثل مسألة البيضة والدجاجة ومن الذي أتى أولاً!؟ .. أو البحث في شكل الشيطان وماذا يأكل وكيف يعيش ؟ .. أو أفكار دينية أو جنسية لا معنى لها تشغل التفكير وتعوق الشخص عن مزاولة حياته . ومخاوف وسواسية لا أساس لها من أشياء ليست مصدر خوف علي الإطلاق.. وكل هذه الصور لحالات الوسواس حالات مرضية يتعامل معها الطب النفسي حالياً بالعلاج الدوائي الذي يعيد الاتزان النفسي .. ولا علاقة للشيطان بكل هذه الوسواس المرضية .

أما الهلاوس *Hallucinations* فهي أن يتصور المريض انه يرى أشخاصا أو يسمع أصواتا تتحاور معه أو تهدده أو تأمره بأن يفعل أشياء معينة، وقد يفسر الناس ذلك بأن الشياطين هي التي تفعل ذلك، لكن ومن وجهة نظر الطب النفسي هي وجود خلل في جهاز الاستقبال لدى المريض يجعله يستقبل صوراً وأصواتاً لا وجود لها، وهذه الحالات أيضاً تتحسن بالعلاج بالأدوية الحديثة ولا دخل للشيطان في هذه الأعراض النفسية المرضية التي تحدث في مرضي العصام والأمراض العقلية الذهانية.

مرض الصرع .. ومس الشيطان :

يعتبر الصرع من أكثر الأمراض العصبية انتشاراً حيث يسبب ٨ / من الصغار والكبار، ومن أعراضه حدوث نوبات غياب عن الوعي قد تكون شديدة أو خفيفة، وفي حالة النوبة الكبرى يسقط المريض علي الأرض في حالة تشنج يهتز لها كل جسده ويغيب عن الوعي نهائياً ولا يعيق إلا بعد مرور وقت طويل وتكرر هذه النوبات في أي وقت وأي مكان. وقد كان التفسير الشائع لهذه النوبات أنها نتيجة مباشرة لمس الجن، وكان بعض الناس يستندون إلى التشبيه (إلى نبي وروني آيات القرآن الكريم).

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَمَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥].. لكن التعبير القرآني "الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" هو من البلاغة التي يتميز بها اسلوب القرآن ولا علاقة لذلك بمرض ما... وظل مرض الصرع موضوعاً للكثير من الخرافات والأوهام، وتعرض

المرضى لكثير من الممارسات غير الطيبة ظناً من الناس أن الأرواح والشياطين وراء حدوثه حتى كشف الطب الحديث حقيقة هذا المرض .

ونوبات الصرع كما تبين من خلال الأبحاث الطبية هي نتيجة لخلل في موجات المخ الكهربائية نتيجة شحنات زائدة من بؤرة نشطة تسبب الالية الخلايا العصبية وتحدث النوبة نتيجة لذلك، ويمكن كشف ذلك ببساطة حالياً عن طريق جهاز رسم المخ EEG الذي يلتقط هذه الإشارات ويحدد شدتها ومكانها، كما يمكن علاج حالات الصرع عن طريق الأدوية التي تسيطر علي هذا الخلل الوظيفي في المخ ولا علاقة نهائياً للجن والشياطين والأرواح الشريرة بهذا المرض كما كان يعتقد من قبل .

وحول الشيطان والمرض النفسي فإننا نذكر بعض الحقائق العلمية الهامة،

التي تمثل وجهة نظر الطب النفسي في هذه المسألة .. وهي .

◊ لا دخل للشيطان بالأمراض النفسية والعضوية التي تصيب الإنسان، وأسباب هذه الأمراض اكتشف الطب جوانب كبيرة منها، وتوصل إلى علاجها بعيداً عن

أي قوى خفيه.

◊ لا يوجد ما يدعو إلى تعظيم شأن الشيطان بأن ننسب إليه أشياء كثيرة مع انه

كما نعلم من نصوص القرآن اضعف من ذلك بكثير ولا يستطيع السيطرة علي

الإنسان إلا من خلال قدرته المحدودة علي الإنعواء لبعض الناس ممن لديهم

الاستعداد لذلك.

◊ القضية التي ناقشناها هنا في هذا الحيز المحدود بعيدة عن أي جدل فقهي

والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتى لا يختلط العلم والإيمان

بالخرافة والدجل .

الممارسات التي يقوم بها أدياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسي يجب أن يتم وضع حد لها بعد أن تطور الطب وتوصل إلى كشف ، الكثير عن أسباب وعلاج هذه الحالات.

وأخيراً فإننا بعد مناقشة هذه النقاط فإننا لم نغلق هذا الموضوع بل نعتقد انه اصبح مفتوحاً لمزيد من الآراء بعد توضيح هذه الحقائق من وجهة النظر النفسية، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى إلقاء الضوء علي هذه الجوانب الغامضة للأمراض النفسية.

الشيطان والمرض النفسي:

الشيطان معروف للجميع .. وهناك من الكتب والمؤلفات الكثير حول كل ما يتعلق به من النواحي الدينية . وقد صادفني مؤخراً بحث علمي بعنوان " الشيطان في الفكر الاسلامي " ، كما طالعت في احدى المكتبات عناوين لكتب منها ' تلبس ابليس " ، و " اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " .. وغير ذلك كثير.. كما قرأت ان الشيطان ذكر في القرآن الكريم ٨٨ مرة وفي الاحاديث الشريفة ١٠٧٠ مرة ، وابليس ذكر في القرآن ١١ مرة وفي الحديث ٥٦ مرة ..

وحول الشيطان والمرض النفسي فإننا نذكر بعض الحقائق العلمية الهامة التي تمثل وجهة نظر الطب النفسي في هذه المسألة .. وهي :

لا دخل للشيطان بالامراض النفسية والعضوية التي تصيب الانسان واسباب هذه الامراض اكتشاف الطب جوانب كبيرة منها ، وتوصل الي علاجها بعيداً عن اى قوى خفيه:

﴿ الشَّيْطَانُ يَمْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨]

لا يوجد ما يدعو الي تعظيم شأن الشيطان بان ننسب اليه اشياء كثيرة مع انه كما نعلم من نصوص القرآن اضعف من ذلك بكثير ولا يستطيع السيطرة علي الانسان الا من خلال قدرته المحدودة علي الإغواء لبعض الناس ممن لديهم الاستعداد لذلك.. قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مِثْلِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفُرًا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ هَرُوتَ وَمَرُوتَ ۗ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَلَمَّظُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلِيَسْ كَمَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

[سورة البقرة: ١٠٢]

◊ القضية التي ناقشناها هنا في هذا الحيز المحدود بعيدة عن اى جدل فقهي والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتي لا يختلط العلم والايمان بالخرافة والدجل .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ هَرَمَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾﴾

[سورة المؤمنون: ٩٧: ٩٨]

◊ الممارسات التي يقوم بها ادعياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسي يجب ان يتم وضع حد لها بعد ان تطور الطب وتوصل الي كشف الكثير عن اسباب وعلاج هذه الحالات .

قال تعالى:

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [سورة الأعراف: ٣٠]

ومن وسائل الوقاية الابتعاد عن المحرمات وهي الأصل في كثير من المشكلات، تلك أن الشعور بالذنب والإثم في ساعات المرض والضعف قد يكون له أثر مدمر، والإيمان القوى بالله تعالى يجعل المرء في كل الأحوال يسمو فوق آلامه ومعاناته وينظر إليها علي أنها ابتلاء من الله يتعين عليه مواجهته بالصبر.

ووجهة النظر الإسلامية بالنسبة للعلاج من كل ما يصيب الإنسان من أمراضه يوضحها الحديث الشريف الذي يأمر بالتداوي.. قال تعالى:

﴿ وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

[سورة الأعراف: ٢٠٠: ٢٠١]

قال صلي الله عليه وسلم: "تداووا و لا تتداووا بحرام". (رواه أبو داود)

ونذكر ذلك لنؤكد أن تلاوة القرآن والأذكار والرقية الشرعية لا يتعارض استخدامها مع طلب العلاج الطبي، وهذا ما قصدنا توضيحه في حديثنا هذا عن المخطور الإسلامي لمرض، ولقد ورد في تحريم الدجل والشعوذة نصوص واضحة، قال صلي الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (رواه مسلم) ولقد حرم الإسلام الابتداع في الدين والتقول علي الله بغير علم وهو بذلك يحارب المشعوذين الذين يستخدمون كثير من الوسائل هي كذب وخداع، ومنها السحر والاحجبة والتمائم والوصفات البلدية، وليس لكل هذه الوسائل مكان في علاج الأمراض العصبية والنفسية، وإن كانت تعتمد علي تأثير الإيحاء فقط لدى العامة من القابلين للتأثر بهذا الأسلوب، وقال صلي الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع

الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن، قال: "الشرك بالله والسحر.... الحديث" (متن عليه)

وحرم الإسلام الأعمال التي يقوم بها المشعوذون من عرافين وغير ذلك، وأمر الناس ألا يصدقوا هؤلاء الناس، قال صلي الله عليه وسلم: "من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقته فقد كفر بما أنزل علي محمد" (رواه مسلم). والحقيقة أن الدفاع الأمثل ضده هذه الأمور هو التمسك بالأيمان القوي بالله والتسليم بأن شيئاً لن يصيبنا إلا ما كتبه الله سبحانه.

وأخيراً وبعد مناقشة هذه النقاط فإننا لم نغلق هذا الموضوع بل نعتقد أنه اصبح مفتوحاً لمزيد من الآراء بعد توضيح هذه الحقائق من وجهة النظر النفسية، ونرجو أن نكون قد وفقنا الي القاء الضوء علي هذه الجوانب الغامضة للأمراض النفسية بما يربط ما يحيط بها من الغموض.

الشیطان معروف للجميع..وهناك من الكتب والمؤلفات الكثير حول كل ما يتعلق به من النواحي الدينية، وقد صادفني مؤخراً بحث علمي بعنوان "الشیطان في الفكر الإسلامي"، كما طالعت في إحدى المكتبات عناوين لكتب منها "تلبس إبليس"، و"إغائة اللهفان من مصائد الشيطان"، وغير ذلك كثير.. كما قرأت أن الشيطان ورد ذكره في القرآن الكريم ٨٨ مرة وفي الأحاديث الشريفة ١٠٧٠ مرة، وإبليس ذكر في القرآن ١١ مرة وفي الحديث ٥٦ مرة.

هل رأيت الجفريت؟؟، أو هل شاهدت الجن؟؟

سؤال قررت ان أتوجه به الى كل من التني به من الرجال ، السيدات من مختلف الاعمار والثقافات الريفية ر'الحضرية... ورعم غرابية السؤال فقد كانت الاجابة بالايجاب في نسبة نصل الى ٣ من كل ٤ من الريفيين.. وواحد من كل اثنين من سكان المدن على وجه التقريب.

ومن خلال الأستفسار عن تفاصيل رؤية الجن تبين أن البعض يصف اشكالا لمخلوقات غريبة شاهدها فى الظلام منهم من يقول انه راي كأننا يخرج من الماء أو شبحا يطول ويقصر أو أنه شاهد كلبا اسود . والتفسير المحتمل فى هذه الروايات أنها مجرد خداعات للنظر ساعد عليها عدم وضوح الرؤية فى الظلام مع حالة من الاستعداد النفسى لدى هؤلاء لتصوير شكل معين مما يعطى الفرصة لان يتصور احدهم شجرة فى جانب الطريق على انها شبح مخيف أو حيوان اليف على انه كائن مخيف أو يتصور عصا أو حبل أو احد الاعمده على أنه يتلوى ويتحرك بصورة تشتر الخوف . وهذا من وجهة نظرنا وتفسير للنسبة الكبيرة من الذين يؤكدون أنهم قد رأوا الجن رأى العين . ومن وجهة النظر النفسية كما فى المنظور القرآنى فان رؤية الجن أمر مستحيل تصديقا لقوله تعالى :

﴿ يَكِينُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُم مِّنكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَأْتُونَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة الأعراف: ٢٧]

الشخصية .. من الاعتدال إلى الاضطراب

أكثر من ثلث سكان العالم يعانون من المرض النفسي .. الاضطرابات النفسية هي أمراض العصر الحالي .. وتشير إلي ذلك إحصائيات منظمة الصحة العالمية التي تذكر أن ٢٠ - ٣٠٪ من الناس يعانون من القلق النفسي، و٧٪ يعانون الاكتئاب. و٢٪ الوسواس القهري، و١٪ مرض الفصام، ويعرف الأطباء النفسيون أن هناك ما يقرب من ١٠٠ حالة مرضية تضعها قائمة التصنيف الحديث للأمراض النفسية، منها الحالات النفسية العصائية البسيطة القابلة للشفاء التام مثل القلق والهستيريا والوسواس القهري ، ومنها الحالات العقلية الشديدة مثل الفصام (الشيزوفرينيا)، والهوس والاكتئاب والبارانويا (جنون العظمة)، كما توجد حالات بينية نتيجة لعيوب في تكوين الشخصية وصفاتها هي اضطرابات الشخصية *Personality disorders* ، وهي التي نلقي عليها الضوء في هذا الموضوع . من الصعب أن نحدد ماذا تعني الشخصية، ولكنها بصفة عامة تعبير عن الجوانب المختلفة للصفات التي يتميز بها الشخص، وتشمل السلوكيات والأفكار والعواطف والانفعالات، وهي الخصائص التي تستمر مع الفرد علي مدى السنوات في مواجهة المواقف والظروف المختلفة، كما أن الشخصية تشمل القيم والمناهج التي يتبناها الواحد منا وتشكل ما يعرف "بطبعه" أو أسلوبه في الحياة، والذي يعرفه به الآخرون من حوله .

تكوين الشخصية :

تتكون شخصية الفرد في سنوات العمر الأولى، وقد ثبت ذلك من خلال دراسات أجريت علي التوائم، حيث يبدو الكثير من التماثل بين سمات الشخصية

في كل من التوأمين اللذين ينتجان من تلقيح بويضة واحدة، كما أن الصفات المزاجية للأطفال في الشهور الأولى عقب الولادة والتي يمكن ملاحظتها في هدوء البعض منهم وميل البعض الآخر للصبية والمشاكسة غالباً ما تستمر خلال فترة الطفولة وربما في مراحل العمر التالية .

ويؤثر في تكوين الشخصية الظروف والعلاقات الأسرية المحيطة بالطفل في سنوات العمر الأولى، فالحرمان العاطفي للطفل أو كثرة الخلافات بين الوالدين غالباً ما تلقي بظلالها علي تكوين الشخصية وقد تظهر آثارها لاحقاً في مرحلة المراهقة وما بعدها، ورغم أن العوامل الوراثية التي تنتقل عبر الأجيال من خلال الجينات التي تحمل الصفات الخاصة بكل فرد لها أهمية في تكوين الشخصية إلا أن الدلائل تؤكد أن التعلم في مرحلة الطفولة من المواقف التي تفرضها البيئة المحيطة قد يعدل في السمات الرئيسية للشخصية ، ومثال ذلك الطفل الذي يتميز بالطاعة والهدوء الشديد حين يتحول إلى طفل عدواني شرس إذا ما وجد أن هذا هو أسلوب التعامل بين أبويه وبقيّة أفراد أسرته .

الشخصية بين الاعتدال .. والاضطراب :

من الأمور الصعبة في ممارسة الطب النفسي الحكم علي شخصية أي فرد وتحديد سماتها لأن ذلك لا يكون ممكناً بأي حال من خلال الفحص في المقابلة النفسية، إن ذلك يتطلب معرفة تفاصيل كثيرة عن نمط هذا الشخص وسلوكياته علي مدى سنوات حياته السابقة، ويتطلب ذلك الحصول علي معلومات من مصادر محايدة حول ماضي هذا الشخص، ونظراً لوجود الكثير من الفوارق الفردية بين الناس فإنه من الصعوبة أيضاً تحديد من هو الشخص " الطبيعي " أو السوي

الذي يتمتع بشخصية في حالة اعتدال حيث أن ذلك يخضع لأحكام تتفاوت من محتتم إلى آخر.

وعلي وجه العموم فإن اضطراب الشخصية يكون من علاماته معاناة الشخص نفسه أو الآخرين من حوله، والآثار التي تنتج عن ذلك علي الفرد والمجتمع حين يختل التوازن النفسي له وتتغير سلوكياته مما لا يتوافق مع المحيطين به، ويختلف اضطراب الشخصية عن الاضطرابات النفسية الأخرى رغم تشابه الصورة العامة لكل منهما في أن الاضطراب النفسي يمكن تحديد بداية حدوثه في شخص كان يعرف بأنه لا يعاني من أي أعراض مرضية قبل ذلك، بينما ترجع بداية المعاناة في حالة اضطراب الشخصية إلى سنوات العمر الأولى وتستمر بعدها دون انقطاع، وهناك علاقة بين اضطرابات الشخصية والإصابة بالأمراض النفسية، مثال ذلك الارتباط بين الشخصية الوسواسية والإصابة بمرض الوسواس القهري، والشخصية المنطوية والإصابة بالفصام، ومن هنا تأتي أهمية تحديد نوع الشخصية للتعنو باحتمالات حدوث بعض الأمراض النفسية .

الشخصية - السيكوباتية - أو المضادة للمجتمع :

يعتبر هذا النوع من اضطراب الشخصية أحد أهم الأنواع وأكثرها شيوعاً حيث تقدر نسبة الأشخاص المصابين به بحوالي ٢/٣ من الرجال و ١/٨ من النساء في الولايات المتحدة، ويشكل هؤلاء الأشخاص الغالبية العظمى من المجرمين والمدمنين والخارجين علي القانون ويشترك هؤلاء الأشخاص في ميلهم للعنف والعدوان علي الآخرين دون ادني شعور بالمسؤولية أو تأنيب الضمير، ويتجهون إلى تكرار ذلك من غير أن يتعلموا من تجاربهم السابقة، وعندما تتابع تاريخهم السابق نجد سلسلة من الانحرافات وانتهاك القواعد والأعراف منذ الصغر، بدءاً من التمر في مرحلة

الطفولة، والغياب عن المدرسة، والشغب في المنزل والشارع، ثم السلوك الجانح الذي يتخذ أشكالاً متعددة مثل الانحرافات الجنسية، والسرقعة، والكذب، والعنف ضد الآخرين، وإدمان المخدرات .

وترجع أسباب اضطراب الشخصية السيكوباتية المضادة للمجتمع إلى عوامل وراثية حيث يلاحظ وجود أكثر من حالة في الأسرة الواحدة ، وفي بعض الحالات توجد تغيرات عضوية في الجهاز العصبي تظهر من خلال الفحص باستخدام رسم المخ ، غير أن العوامل البيئية من حيث ظروف التربية المحيطة تغلب الأهم حيث يلاحظ أن معظم هذه الحالات تأتي من خلفية أسرية مفككة ، وترتبط بمستويات اجتماعية متدنية ، وتربية غير سليمة في الطفولة

وهناك عدة أنواع من الشخصية السيكوباتية تختلف فيما بينها، فمنها العدوانية الذي يتجه إلى العنف، ويقوم بإيذاء نفسه والآخرين، ومنها السلبية الذي يكون تابعاً في الغالب لأشخاص آخرين يقودونه إلى الانحراف، أما النوع الثالث فيوجه طاقاته إلى أنشطة تبدو مفيدة يحقق بها لنفسه الكثير من الإنجاز

أنواع أخرى من اضطراب الشخصية :

هنا نورد وصفاً موجزاً لعدد من الحالات تمثل اضطرابات خاصة في سمات الشخصية، ورغم أن البعض منها قد يتصف ببعض السمات المرغوبة إلا أنها عموماً أنماط خاصة تتميز بتجمع صفات تشكل معاً كل أنواع اضطراب الشخصية ومن أمثلتها :

♦ الشخصية الوسواسية : وتتميز بعدم المرونة ، والتعصب ، والميل إلى المثالية والكمال في كل شيء، ويظهر ذلك في المبالغة في النظام، والنظافة، والدقة

في العمل. وقد تكون بعض هذه الصفات مرغوبة، وهناك علاقة بين هذا النوع من الشخصية والإصابة بمرض الوسواس القهري.

♦ الشخصية الهستيرية : ويميل الأشخاص من هذا النوع من الشخصية إلى حب الاستعراض والظهور ولفت انتباه الآخرين، وعدم النضج في تصرفاتهم، كما يميلون إلى قابليتهم للإيحاء بسهولة، وهم أكثر عرضة للإصابة بالهستيريا.

♦ الشخصية الفصامية : وتتميز بالميل إلى العزلة والانطواء، والتحفظ الشديد في العلاقة مع الآخرين، حيث يفضل الأشخاص من هذا النوع الابتعاد عن الناس، وهذا يساعدهم على الإنجاز والتفوق الدراسي إلى حد كبير، لكنهم قد يستغرقون في أحلام اليقظة حين يعيشون في عالمهم الداخلي. وهناك ارتباط بين هذا النوع من اضطراب الشخصية وبين مرض الفصام.

♦ الشخصية الوجدانية ومنها النوع الذي يميل إلى الاكتئاب فقراه دائماً في حالة تناؤم ويأس ويتوقع حدوث أسوأ الأمور، ولا يستطيع الاستمتاع بمساح الحياة. وهناك نوع آخر متقلب الأهواء تتأرجح حالته المزاجية بين الكآبة والسرور، وهذه الأنواع ترتبط بالاضطرابات النفسية الوجدانية مثل مرض الاكتئاب والهوس.

♦ الشخصية البارانوية وتتميز بالشك وعدم الثقة في الآخرين، والحساسية المفرطة للنقد، والميل إلى المنافسة والغيرة، والشعور بالعظمة والتميز، ويرتبط هذا النوع من اضطراب الشخصية بالفصام ومرض البارانويا (هديان العظمة والاضطهاد).

♦ الشخصية اليرحسية : وتشبه إلى حد كبير النوع السابق، وتتميز بالتركيز على الذات والإحساس الزائد بأهمية النفس، والرغبة في لفت انتباه الآخرين، وعدم النقد، والأنانية دون اعتبار للآخرين.

الشذوذ الجنسي والانحرافات الجنسية الأخرى :

ظل الشذوذ الجنسي *Homosexuality* لمدة طويلة يصنف كأحد الانحرافات الجنسية والنفسية ، ورد : أن الجنسية المثلية أو ممارسة الشذوذ مع شخص من نفس الجنس من الأمور التي لا تتفق مع الأعراف والتقاليد في معظم المجتمعات بدرجات متفاوتة إلا أن هذه الحالة ينظر إليها في بعض الثقافات الغربية علي أنها أسلوب في التعبير الجنسي ، ولذلك فلا يعتبر الشذوذ أو ممارسة الجنسية المثلية في حد ذاته اضطراب نفسي إلا إذا اقترن بمشاعر سلبية مثل الرفض من جانب الشخص الذي يمارسه أو شعوره بالندم وتأنيب النفس إزاء ما يفعل ، فيعتبر في هذه الحالة يعابي من اضطراب نفسي .

والواقع أن الشذوذ الجنسي هو حالة مرضية حيث أن ممارسته قد تبدأ مبكراً في مرحلة الطفولة أو في فترة المراهقة ولا يكون بوسع الشخص التوقف أو التحكم في الدافع الداخلي لديه للحصول علي اللذة الجنسية من اللقاء من أشخاص من نفس جنسه ، وتكون هناك عوامل نفسية في مرحلة الطفولة وأسلوب التربية وبعض الخبرات الجنسية الأولى قد ساعدت علي بداية الحالة ، وكثير من الحالات يتوقفون عن هذه الممارسة بعد مرحلة المراهقة .

علاج اضطرابات الشخصية :

يبدى الكثير من الأطباء النفسيين شكهم في إمكانية علاج مثل هذه الحالات، فالشخصية يصعب أن تتغير سماتها مهما كانت الوسائل ومن المؤكد أن دور الأدوية في هذا المجال محدود للغاية، غير أن انضمام هذه الحالات إلى

مجموعات علاجية يفيد في تعليمهم بعض الاتجاهات المرغوبة وتخلى بعضهم عن الصفات المرضية غير المرغوبة .

وبالنسبة لحالات اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع "السيكوباتية" فإن العلاج يتم في وحدات للرعاية الداخلية تتميز بنظام صارم يشبه السجن ووسط علاجي اقرب إلى المستشفى للسيطرة على السلوك والميول العدوانية لدى هذه الحالات .

المنظور القرآني :

وكلمة أخيرة حول الموضوع الذي نتحدث عنه هي أهمية الوازع الديني والتنشئة الأخلاقية السليمة في السيطرة على النزعات المرضية للنفس الإنسانية، فقد ثبت أن الالتزام بروح الدين، والإيمان القوي الثابت بالله تعالى حين يتم غرسها في النفس منذ الصغر تكون وقاية من الانحراف والاضطراب، وصمام أمن للسلوك المعتدل السوي.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَّهَا هُجُورًا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ

خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس: ٩-١٠]

" ونفس وما سواها.. تشير هذه الآية في سورة الشمس التي بدأت بالقسم ببعض الطواهر الكونية مثل الشمس والقمر والليل والسماء والأرض الي أن يصل القسم الي النفس الإنسانية بجوانبها السلبية والإيجابية متمثلة في حالاتها من الفجور والتقوى ، ثم يأتي جواب القسم في الآية التالية بأن الفلاح والفوز طريقه هو تزكية هذه النفس وتطهيرها والسمو بها ، والعكس في المقابل في الانسياق وراء نزعات النفس الشريرة والتردي في هاوية الانحراف عن الفطرة السليمة بما يؤدي الي أسوأ العواقب .

ويرى علماء النفس أهمية الوازع الديني والتنشئة الأخلاقية السليمة في السيطرة على النزعات المرضية للنفس الإنسانية ، فقد ثبت أن الالتزام بروح الدين والإيمان القوي الثابت بالله تعالى حين يتم غرسها في النفس منذ صغرها تكون وقاية من الانحراف والاضطراب ، وصمام أمن للسلوك المعتدل السوي

وفي الختام فإن المنظور الإسلامي للنفس الإنسانية في حالاتها المختلفة سواء الاعتدال والسواء والإيجابية من ناحية أو الحالات الأخرى المقابلة من التردّي في السوء والانحراف والابتعاد عن الطريق السوي ، والنموذج الذي ورد في إشارات القرآن الكريم لطبيعة النفس الإنسانية في تقلبها بين الاعتدال والاضطراب ، أو بين التقوى والفجور ، وبذلك يكون القرآن قد سبق علم النفس والطب النفسي الحديث في عرض هذه الحقائق التي تتعلق بالنفس الإنسانية والتي لا يزال علماء النفس والأطباء في سعي لكشف بعض من أسرارها ، فسبحان الله الخالق الذي أحاط بكل شيء علماً .